
ملاحظات
حول تعليم
القرآن الكريم
بقلم
صالح بن عطا الله الخزيم
مصدر هذه المادة :
المكتبة الإسلامية
www.ktibat.com
قسم النوادر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، القائل: ﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**﴾ [القمر: ١٧]، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، القائل: «**الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران**» [متفق عليه].

أما بعد..

فقد أنزل الله كتابه ليُقرأ ويُفهم منه مراده، وجعل الأجر العظيم على تلاوته - الحرف بعشر حسنات - لينتفع به العباد، فيعرفوا حلاله وحرامه، وأمره ونهيه، ووعده ووعيده، وقد أنزل الله القرآن على سبعة أحرف، توسعة على العباد، وإزالة للمشقة والحرج عنهم، فصار كل قوم يقرأ القارئ منهم أمام النبي ﷺ بالحرف الذي يتناسب ولهجته، مما هو منزل على رسول الله ﷺ، فعن أُبي بن كعب أنه ﷺ قال له جبريل: «**إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وأن أمتي لا تطيق ذلك**... إلى قوله: **إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف، فأيما حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا**» [رواه مسلم].

وفي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما، أن عمر بن الخطاب سمع هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان على حروف

كثيرة لم يقرأها عمر بن الخطاب على رسول الله ﷺ، فلما فرغ من صلاته لبَّبه عمر، وانطلق يقوده إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، وأنت أقرأتني سورة الفرقان، فقال رسول الله ﷺ: «**أرسله يا عمر، اقرأ يا هشام**» فقرأ هشام، فقال عليه الصلاة والسلام: «**هكذا أنزلت**» ثم قال: «**اقرأ يا عمر**» فقرأ، فقال: «**هكذا أنزلت**» ثم قال رسول الله ﷺ: «**إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منها**».

والخلاصة: إن القرآن كتاب علم وعمل، أُنزل ليُتلى ويعلم ما فيه حتى يعمل بمقتضى ما فيه، ومع هذا فإن هناك من إذا تعلم القرآن أو قام بتعليمه يقف الوقفات الطوال مع بعض صفات الحروف أو مخارجها، مما يُضيِّع جل الوقت في المهم، بينما يترك الأهم أو يتساهل فيه؛ فيقف عند تفخيم الحروف - فيبالغ فيها - أو استفالها أو ترقيقها، والإمالة وغيرها، فتأخذ منه هذه الأمور حظًا وافرًا من الوقت والجهد على حساب الجوانب الأخرى من تعلم القرآن، ويبقى معنى الآية في هذا الخضم مبهمًا، ويبقى حفظ الآيات متعثرًا، ويبقى الشطر الأكبر من القرآن بحاجة إلى تمحيص في جانب القراءة والتلاوة، فلو جعل هذا الجهد الطويل في الضبط على القارئ من فاتحة القرآن إلى نهايته لقطع الطالب شوطًا مباركًا، يتمكن فيه من العمل على حسن التلاوة والحفظ والتدبر وفهم السياق القرآني، ولحصل له بذلك عدة ختمات لهذا القرآن المبارك.

وكذلك فإن للقرآن جوانب أخرى من العلوم التي ينبغي أن تقترن بتعليمه؛ مثل فهم مفرداته ومعانيه، وأسباب نزوله، وناسخه ومنسوخه، فالصحابة – رضوان الله عليهم – كانوا لا يتجاوزون عشر آيات حتى يتعلموا معانيها وما فيها من العلم والعمل، فتعلموا العلم والعمل جميعًا، ولأن المبالغة والتشدد فيما ذكرنا سابقًا تشغل الإنسان عن فهم القرآن وتدبره، حيث يبقى القارئ دائمًا مشغول الذهن مع هذه الأمور.

وقد قال العالم الرباني شيخ الإسلام أحمد بن تيمية يصف حال المؤمن من القرآن، قال – في الفتاوى، المجلد السادس عشر، ص٥٠ – ما نصه:

وأما في باب فهم القرآن، فهو دائم التفكر في معانية والتدبر لألفاظه، واستغنائه بمعاني القرآن وحكمه عن غيره من كلام الناس، وإذا سمع شيئًا من كلام الناس وعلومهم عرضه على القرآن، فإن شهد له بالتزكية قَبِله وإلا رده، وإن لم يشهد له بقبول ولا رد وقفه، وهمته عاكفة على مراد ربه من كلامه، ولا يجعل همته فيما حجب به أكثر الناس من العلوم عن حقائق القرآن، إما بالوسوسة في خروج حروفه وترقيقها وتفخيمها وإمالتها، والنطق بالمد الطويل والقصير والمتوسط، وغير ذلك، فإن هذا حائل للقلوب قاطع لها عن فهم مراد الرب من كلامه، وكذلك شغل النطق بـــ (أأنذرتهم)، وضم الميم من (عليهم) ووصلها بالواو، وكسر الهاء أو ضمها ونحو ذلك، وكذلك مراعاة النغم وتحسين الصوت، وكذلك تتبع وجوه

الإعراب واستخراج التأويلات المستكرهة التي هي بالألغاز والأحاجي أشبه منها بالبيان، وكذلك صرف الذهن إلى حكاية أقوال الناس ونتائج أفكارهم، وكذلك تأويل القرآن على قول من قلَّد دينه أو مذهبه، فهو يتعسف بكل طريق حتى يجعل القرآن تبعًا لمذهبه وتقوية لقول إمامه، وكلٌّ محجوبون بما لديهم عن فهم مراد الله من كلامه في كثير من ذلك أو أكثره. ا.هـــ.

وقال تلميذه ابن القيم رحمه الله – في زاد المعاد، المجلد الأول، ص٤٨٢ إلى ص٤٩٣، بعد أن ذكر خلاف العلماء في معنى التغني بالقرآن – ما نصه:

وفصل النزاع أن يقال: التطريب والتغني على وجهين؛ **الوجه الأول**: ما اقتضته الطبيعة وسمحت به من غير تكلف ولا تمرين ولا تعليم، بل إذا خُلي وطبعه، واسترسلت طبيعته، جاءت بذلك التطريب والتلحين، فذلك جائز وإن أعان طبيعته بفضل تزيين وتحسين، كما قال أبو موسى الأشعري للنبي ﷺ: لو علمت أنك تسمع لحبَّرته لك تحبيرًا.

والحزين ومن هاجه الطرب والحب والشوق لا يملك من نفسه دفع التحزين والتطريب في القراءة، ولكن النفوس تقبله وتستحليه لموافقته الطبع، وعدم التكلف والتصنع فيه، فهو مطبوع لا متطبع وكلف لا متكلف، فهذا هو الذي كان السلف يفعلونه ويستمعونه، وهو التغني الممدوح المحمود، وهو الذي يتأثر به التالي والسامع، وعلى هذا الوجه تحمل أدلة أرباب هذا القول كلها.

الوجه الثاني: ما كان من ذلك صناعة من الصنائع، وليس في الطبع السماحة به، بل لا يحصل إلا بتكلف وتصنع وتمرن، كما يتعلم أصوات الغناء بأنواع الألحان البسيطة والمركبة على إيقاعات مخصوصة وأوزان مخترعة، لا تحصل إلا بالتعلم والتكلف، فهذه هي التي كرهها السلف وعابوها، ومنعوا القراءة بها، وأنكروا على من قرأ بها، وأدلة أرباب هذا القول إنما تتناول هذا الوجه.

وبهذا التفصيل يزول الاشتباه، ويتبين الصواب من غيره، وكل من له علم بأحوال السلف يعلم قطعًا أنهم برآء من القراءة بألحان الموسيقى المتكلفة، التي هي إيقاعات وحركات موزونة معدودة محدودة، وأنهم أتقى لله من أن يقرؤوا بها ويسوغوها، ويعلم قطعًا أنهم كانوا يقرؤون بالتحزين والتطريب، ويحسنون أصواتهم بالقرآن، ويقرؤونه بشجى تارة وبشوق تارة، وهذا أمر مركوز في الطباع تقاضيه، ولم ينه عنه الشارع مع شدة تقاضي الطباع له، بل أرشد إليه وندب إليه، وأخبر عن استماع الله لمن قرأ به، وقال: «**ليس منا من لم يتغن بالقرآن**» وفيه وجهان؛ **أحدهما**: أنه إخبار بالواقع الذي كلنا نفعله، **والثاني**: أنه نفي لهدي من لم يفعله عن هديه وطريقته ﷺ.

وقال رحمه الله أيضًا في نفس المجلد الأول، ص٣٣٩، وقد ذكر خلاف العلماء في الترتيل أو الإدراج أيهما أفضل.. الترتيل مع التدبر، والإدراج مع كثرة القراءة؟ فقال رحمه الله ما نصه:

والصواب في المسألة أن يقال: إن ثواب قراءة الترتيل والتدبر أجلّ وأرفع قدرًا، وثواب كثرة القراءة أكثر عددًا؛ فالأول: كمن

تصدق بجوهرة عظيمة أو أعتق عبدًا قيمته نفيسة جدًا، والثاني: كمن تصدق بعدد كثير من الدراهم أو أعتق عددًا من العبيد قيمتهم رخيصة. ا.هـــ.

وقال الذهبي – في كتابه زَغَل العلم، تحقيق: محمد العجمي، مكتبة الصحوة الإسلامية، تحت عنوان: علم القراءة والتجويد – ما نصه:

فالقراءة المجودة فيها تنطع وتحرير زائد، يؤدي إلى أن المجوِّد القارئ يبقى مصروف الهمة إلى مراعاة الحروف والتنطع في تجويدها بحيث يشغله ذلك عن تدبر معاني كتاب الله تعالى، ويصرفه عن الخشوع في التلاوة لله، ويجعله قوي النفس مزدريًا بحفاظ كتاب الله تعالى، فينظر إليهم بعين المقت وأن المسلمين يلحنون، وبأن القُرَّاء لا يحفظون إلا شواذ القراءة، فليت شعري، أنت ماذا عرفت؟ وما علمك؟! وأما علمك فغير صالح، وأما تلاوتك فثقيلة عرية عن الخشية والحزن والخوف، فالله يوفقك ويبصرك رشدك ويوقظك من رقدة الجهل والرياء.

وضدهم قراء النغم والتمطيط، وهؤلاء في الجملة من قرأ منهم بقلب وخوف قد ينتفع به في الجملة، فقد رأيت من يقرأ صحيحًا ويطرب ويبكي، نعم، ورأيت من إذا قرأ قسَّى القلوب وأبرم النفوس وبدل كلام الله تعالى، وأسوأهم حالاً الجنائزية، والقراء بالروايات وبالجمع فأبعد شيء عن الخشوع وأقدم شيء على

التلاوة بما يخرج عن القصد، وشعارهم في تكثير وجوه حمزة، وتغليظ تلك اللامات وترقيق الراءات.

اقرأ يا رجل، وأعفنا من التغليظ والترقيق وفرط الإمالة والمدود ووقوف حمزة، فإلى كم هذا؟ وآخر منهم إن حضر ختمة أو تلا في محراب جعل ديدنه إحضار غرائب الوجوه والسكت والتهوع بالتسهيل، وأتى بكل خلاف، ونادى على نفسه: (أنا أبو فلان فاعرفوني، فإني عارف بالسبع)، ماذا يُعمل بك؟ لا صبَّحك الله بخير، إنك حجر منجنيق، ورصاص على الأفئدة. ا.هـــ. من ص٢٥ حتى ص٢٧.

وقال ابن الخطيب في كتابه الفرقان، وهو في علوم القرآن، وذكر في مقدمته أنها كلمة حق، إن أغضبت مخلوقًا فقد أرضت خالقًا، وإن ساءت جاهلاً فقد سرَّت عالمًا، وإن أضرت بعض المقرئين فقد نفعت سائر المسلمين، قال في ص٩٦ تحت عنوان: القراءات جُعلت للتيسير لا للتعسير:

ومن لطف الله بعباده ورأفته بخليقته أنه لم يكلفهم ما يشق بهم ولم يلزمهم ما يعسر عليهم؛ ألا ترى إلى القراءات ووجوهها والقراء ومذاهبهم، فهذا يرقق الراء لأنها لغة إحدى القبائل، وذاك يفخم اللام لأنها لهجة قبيلة أخرى، وهذا يسهل الهمز، وهذا يقصر الممدود، وآخر يمد المقصور، وهكذا إلى ما لا حصر له من التساهل والنزول إلى حيث مدارك الناس وأفهامهم على اختلافها وتباينها شفقة عليهم ورحمة بهم.

وقال في ص٩٨: والقراءات إنما جعلت على ألسنة القبائل ولهجاتها تلطفًا بالناس، وتسهيلاً عليهم، وتقريبًا لأذهانهم؛ لأنهم إذا سمعوا القرآن بلهجة غير لهجتهم ثقل ذلك على أسماعهم، وإذا كلفوا قراءته بغير ما ألفوه شق على ألسنتهم، فأراد الله تعالى – رحمة بعباده – ألا يكلم أحدًا إلا باللهجة التي سكن إليها ودرج عليها.

وقال في ص١٣١-١٣٣: والذي يدل تمام الدلالة على أن القراءات لم تكن إلا للتيسير، ما رواه الترمذي عن أُبي بن كعب – رضي الله عنه – قال: لقي رسول الله ﷺ جبريل فقال: «**يا جبريل، إني بعثت إلى أمة أميين، منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية والرجل الذي لم يقرأ كتابًا قط. قال: يا محمد، إن القرآن أنزل على سبعة أحرف**»؛ ومعنى ما تقدم من الأحاديث في هذا الباب أن القرآن قد أنزل بسبعة أوجه، وذلك بسبب اختلاف ألسنتكم ولهجاتكم وضعفكم وأميتكم، فاقرؤوا ما تيسر لكم من هذه الأوجه، وما كان سهلاً عليكم قريبًا من نطقكم وفهمكم، وذلك لأنه لو أراد كل فريق من المسلمين أن يزول عن لغته وما جرى عليه اعتياده طفلاً وناشئًا وكهلاً لاشتد ذلك عليه وعظمت المحنة فيه، ثم لم يمكنه ذلك إلا بعد رياضة طويلة للنفس وتذليل للسان وقطع للعادة، فأراد الله عز وجل بلطفه أن يجعل لهم متسعًا في اللغات ومتصرفًا في الحركات كتيسيره عليهم في الدين، ومن عجب أن الرسول ﷺ يقول: «**اقرؤوا ما تيسر منه**» ونحن نأبى إلا

أن نقرأ ما تعسر منه على ألسنتنا، وشذ عن أسماعنا، وشق على أفهامنا.

ويؤخذ أيضًا من معاني الأحاديث ومما قدمناه أن هذا القراءات جعلت للتسهيل والتيسير، بل وأكثر من هذا فقد جاء في الحديث الأخير الذي رواه الترمذي ما يفيد قراءة الأمي الذي لم يقرأ كتابًا قط للقرآن قدر طاقته وحسب استطاعته، ويكون المقروء قرآنا له حرمته ومكانته، ويصح العمل به والتعبد بتلاوته، وبهذا يبطل ما يدعيه القراء من وجوب القراءة بطرق معينة ومدود مقدرة وقلقله وإدغام وإشمام إلى غير ذلك مما هو مدون في كتبهم، وقد بلغ في تضييقهم وتعسفهم أن جعلوا القرآن الكريم السهل السمح الميسر للتدبر والتفكر – صعبًا شديدًا مغلقًا مبهمًا، لقد شددوا تشديدًا كبيرًا، وضيقوا تضييقًا بالغًا، بدرجة جعلت قراءة القرآن وقفًا عليهم هم في حين أنه قد نزل لسائر الناس.

وقال في ص١٣٦-١٣٨: وليس معنى هذا أنَّا نجيز قراءة القرآن لمن لم يتعلم القراءة والكتابة على وجهها الأكمل، فمثل هذا لا تصح قراءته للقصص والجرائد فضلاً عن القرآن الكريم، أما من استطاع القراءة في الكتب العربية وتفهمها فلا حرج عليه مطلقًا في أن يقرأ القرآن جهد طاقته.. ومن المعلوم بالضرورة أن الحروف ما جعلت إلا لتتكون منها الكلمات، والكلمات ما جعلت إلا للدلالة على معان مخصوصة، وليس للحروف ولا للكلمات وظائف غير ذلك، فمن التعسف أن يتمسك القراء بمخارج خاصة للحروف غير

المخارج الطبيعية، بدرجة لا تُمكِّن الإنسان من النطق المهم، سوى من روَّض نفسه وعود لسانه على إخراج أحرف معينة بصعوبة شديدة ليس من الدين ولا من القرآن في شيء التمسك بها وإبطال ما عداها.

وإذا شئت أيها المتأمل المنصف دليلاً على ما أقول، فما عليك إلا أن تراقب بعض الناس في صلاتهم عندما يَصِلُون من الفاتحة إلى قوله تعالى: ﴿**ولا الضالين**﴾، فإنك تجد أكثرهم وقد رددها هكذا ﴿ولا الضـــ... ولا الضـــ... ولا الضـــ...﴾، وهكذا يظل يردد إلى أن يفتح الله تعالى عليه بإخراج باقي الكلمة لا من لسانه فقـــط ولا من فمه وحلقه فحسب بل من قعر بطنه، ويصير مثله في ذلك كمثل من يريد أن يتقيأ لا أن يقرأ القرآن ويتقرب للرحمن، ويظل المصلي في صلاته هكذا، يراعي مخارج الحروف المتعســـفة كأنـــه يشتغل بصناعة فنية متعبة مؤلمة، حتى يخرج بذلك عن معنى الصلاة، وعن معنى قراءة القرآن، وعن معنى العبادة، وعن معنى الوقوف بين يدي الله، وتنصرف عنه وعن قلبه وعن ذهنه كل هاتيك المعـــاني، ولا يبقى معه سوى الصناعة الرديئة، والإجادة المتكلفة.

وهل من القرآن الخروج عن معاني القرآن والتمسك بألفاظه ومخارج حروفه؟ وهل من العبادة الانشغال عن لب العبادة والتمسك بقشورها؟ وهل من آداب الوقوف بين يدي الله تعالى الانصراف عنه بمثل هذه الصور؟

قال أبو حامد الغزالي رحمه الله: أكثر الناس قد منعوا من فهم القرآن لأسباب وحُجُب سدلها الشيطان على قلوبهم، فعميت عليهم عجائب أسرار القرآن؛ منها أن يكون الهم منصرفًا إلى تحقيق الحروف بإخراجها من مخارجها، وهذا يتولاه شيطان وُكل بالقراء ليصرفهم عن فهم معاني القرآن، فلا يزال يحملهم على ترديد الحروف، يخيل إليهم أنها لم تخرج من مخارجها، فلهذا يكون تأملهم مقصورًا على ذلك، فأنى تنكشف لهم المعاني؟

وأعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعًا لمثل هذا التلبيس، ثم قال: وتلاوة القرآن حق تلاوته أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب، فحظ اللسان تصحيح الحروف، وحظ العقل تفسير المعاني، وحظ القلب الاتعاظ والتأثر والانزجار والائتمار، فاللسان يرتل، والعقل ينزجر، والقلب يتعظ، وقد أجمع علماء القراءات على أن التجويد هو عدم الإخلال بالمعنى والإعراب، وهذا بخلاف ما يزعمه قراء اليوم من أن التجويد هو ما يزعمونه من الغن والمد والقلقلة والإشمام وغيره.

وقال في ص١٤٠: وترى القراء – أثابهم الله – يلزمون القارئين للقرآن بأشياء مرهقة لم ينزل الله تعالى بها من سلطان؛ كالإظهار والإدغام والإقلاب والإخفاء والإشمام، وغير ذلك، ويلزمونهم أيضًا بمدود معينة قد وزنوها بموازين في أدمغتهم، ليس لها أصل و لم يقل بها أحد من السلف، ويُفْرِطون في هذه المدود إفراطًا معيبًا، فمن ذلك إفراطهم في المد الذي قبل الهمز، وكل ما يطلب

من القارئ أن يمد بالقدر الذي يكفي لإظهار الهمز وإخراجه من مخرجه، وهذا لا يحتاج إلا لمد قليل جدًا لا يبلغ عُشر فعلهم.

ثم ذكر المبالغة في الغن ومقادير المدود وأنواعها، وحكمة نزول القرآن، وعدم جواز القراءة على من لا يعرفها، إلى قوله: ويعلم الله أن القرآن لم ينزل لتتخذه فئة من الناس صناعة لهم، ويستدلون على تفننهم في هذه القراءة وغنهم ومدهم وإدغامهم وتمطيطهم وقلقلتهم بقوله تعالى: ﴿**وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا**﴾، وقد غاب عنهم أن هذه الآية بعيدة كل البعد عما يرمون إليه؛ لأن المقصود منها القراءة ببطء وتأن حتى تفهم وتعلم، أو المراد كثرة التلاوة.

إلى قوله: وإذا سمعوا أحد القراء لا يراعي بعض هذه القيود التي وضعوها لا يستمعون لقراءته ويلغون فيه؛ لأنه ليس بقرآن في زعمهم، ويعلم الله تعالى أنه هو القرآن، وأن ما يتصنعونه بتكلفاتهم وتعسفاتهم ليس من القرآن في شيء، وإنما هو من التنطع الممقوت، وفي الحديث الشريف «**هلك المتنطعون**». ا.هـ. ص١٤٨ الفرقان.

هذه المقتطفات المختصرة والتي اختصرنا بعضها خشية الإطالة هي في كتاب ابن الخطيب في علوم القرآن.. والله أعلم.

وقال ابن جرير الطبري في تفسيره جامع البيان، في تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾: بيِّن القرآن إذا قرأته تبيانًا، وترسل فيه ترسلاً، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ثم أورد تفاسير السلف، فروى عن مجاهد أن معنى ترتيلاً: بعضه على أثر بعض، وعنه: بعضه على أثر بعض على تؤدة، وعنه: ترسَّل فيه ترسلاً، وعنه: بعضه في أثر بعض، وعن عطاء: الترتيل: النبذ: الطرح، وعن قتادة: ترتيلاً: بيِّنه بيانًا. ا.هـ. المجلد رقم ٢٨، ص١٢٦-١٢٧، الطبعة الثانية، مطبعة مصطفى البابي.

وحول ما يدعيه بعض المجودين من أن المد في القرآن يحدد بزمن معين، إليك كلام الإمام العلامة في القراءات وتجويد القرآن: مكي بن أبي طالب القيسي - المتوفى سنة ٤٣٧ - في كتابه تمكين المد في: آتى - آمن - آدم وشبهه، قال رحمه الله في ص٣٦-٣٧، فصل: في أن المد لا يحصر، وأن تقديره بالألفات للتقريب على المبتدئين:

والتقدير عندنا للمد بالألفات إنما هو تقريب على المبتدئين وليس على الحقيقة؛ لأن المد إنما هو فتح الفم بخروج النفس مع امتداد الصوت، وذلك قدر لا يعلمه إلا الله، ولا يدري قدر الزمان الذي كان فيه المد للحرف ولا قدر النفس الذي يخرج مع امتداد الصوت في حيز المد إلا الله تعالى، فمن ادعى قدرًا للمد حقيقة فهو مُدع علم الغيب، ولا يدعي ذلك من له عقل وتمييز، وقد وقع في

كتب القراء التقدير بالألف والألفين والثلاثة على التقريب للمتعلمين.

إلى قوله رحمه الله: و لم يقل أحد من القراء والنحويين أن المد يحصر في قدر ألف وقدر ألفين، وأنه لا يكون أكثر ولا أقل، هذا لم يقله أحد، ألا ترى أن أبا إسحاق الزجاج قال: لو مددت صوتك يومًا وليلة لم يكن إلا ألفًا واحدًا، ألا ترى قول سيبويه في حروف اللين: هي حروف المد تمد بها الصوت، وتلك الحروف الألف والياء والواو، وقد ذكر أن الصوت يمد بها ولا يحد مقدار المد، قال: ليس شيء أمد للصوت منها؛ يعني الألف والياء والواو، فأطلق المد و لم يحصره، وفي كتابه هذا أشياء كثيرة قد جمعتها في غير هذا الكتاب كلها بإطلاق المد من غير حصر ولا مقدار.

وقال أيضًا: فصل: في الرد على من ادعى أن تقدير المد بألفات على الحقيقة: ويقال لمن ادعى أن المد على قدر ألف وقدر ألفين حقيقة: لو حلف رجل بصدقة ماله، أو بعتق عبده، أو بطلاق امرأته أنه يقدر أن يمد (دابة) مثل (حاميم)، قال: أو كان حلف أنه يقدر أن يمد (آمن) نصف مده (جاء) خفيفة، أو حلف أنه يقدر أن يمد (آدم) ثلث مده لقوله تعالى: ﴿**وَقَالُوا أَآَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ**﴾، أو حلف أن يمد (آلهتنا) بثلاثة أمثال مده لـــ (آدم وآتى) هل هو حانث أم لا؟ فلا بد أن يحنث لأنه حلف على علم لا يصل إليه حقيقة البتة، فعلم من ذلك أن التقدير بالألفات إنما هو تقريب وتوطئة للمبتدئين، وكيف يعلم الزمان الذي كان في حين لفظه لـــ

(آدم) فيجعل ثلاثة أمثاله في مده لـــ (آلهتنا)، أو يعلم الزمان والنفس الذي كان في حال مده لـــ (آلهتنا) فيأخذ ثلثه فيجعله لمده (آدم) و (آتى)؟ هذا جهل عظيم، وإنما جعلنا في (آلهتنا) مده قدر ثلاث ألفات على التقريب لأن أصله ثلاث همزات، وكذلك ذكر ابن مجاهد رحمه الله.

انتهى كلام مكي بن أبي طالب رحمه الله من كتابه تمكين المد في: آتي – آمن — آدم وشبهه، تحقيق: أحمد فرحات.

وقال صاحب سير أعلام النبلاء، المجلد السابع، ص٩١: كره طائفة من العلماء قراءة حمزة لما فيها من السكت، وفرط المد واتباع الرسم والاضجاع، وأشياء، ثم استقر اليوم الاتفاق على قبولها، وبعض كان حمزة لا يراه. ا.هـــ.

وقال ابن قدامة في المغني، ج١ ص٤٩٢: ويقرأ بما في مصحف عثمان، ونقل عن أحمد أنه كان يختار قراءة نافع من طريق إسماعيل بن جعفر، قال: فإن لم يكن فقراءة عاصم من طريق أبي بكر بن عياش، وأثنى على قراءة أبي عمرو بن العلاء، ولم يكرّه قراءة أحد من العشر إلا قراءة حمزة والكسائي لما فيهما من الكسر والإدغام والتكلف، وزيادة المد.. إلى قوله: قال الأثرم: قلت لأبي عبد الله: إمام كان يصلي بقراءة حمزة أصلي خلفه؟ قال: لا يبلغ به هذا كله، ولكنها لا تعجبني قراءة حمزة. ا.هـــ. المغني، ج١ ص٤٩٢، ولزيادة الاطلاع انظر طبقات القراء (١/ ٩٣-٩٩)، وميزان الاعتدال (١/ ٩٠٥) للذهبي.

هذا وإن الدافع لتحرير هذه النبذة هو تنبيه إخواني من مصيدة الشيطان في هذا المجال، وهو أنه يأتي إلى الطالب الذي يمارس فن التجويد ويقوم بتحقيقه حتى يرى أنه لا يضاهيه أحد في هذا المضمار، فيكون له نفسية قوية يحس من خلالها أن غيره من جماهير الناس يجهلون هذا الفن وهذا العلم وأنهم مقصرون، وأنه أتم الواجب وقام به، حتى يصل به الأمر إلى أن يزدري إخوانه ممن لم يبالغ في تحقيق هذا الشيء، فيحصل الاختلاف في أمر قد جعل الله فيه سعة لعباده حيث قال: ﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**﴾ [القمر: ١٧].

وجاءت السنة المطهرة ببيان أن القرآن سهل ميسر، يُقرأ بما تيسر، ونزل على الأحرف السبعة، وقرئ بقراءات كثيرة وروايات كثيرة عن القراء وأوجه كثيرة، كل ذلك تيسير على الأمة المحمدية، فلله الحمد والمنة على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، فمن أتى بتشديد وتضييق فعليه بالدليل، ولا دليل إلا مع من نَهَجَ نَهْج التيسير على العباد، وقبل ما جاء عن السلف الصالح المقتدى بسيرهم من الصحابة والتابعين وتابعيهم على الحق إلى يوم الدين.

وأسأل الله عفوه ومعافاته ومغفرته ومرضاته لي ولجميع إخواني المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، اللهم أنصر دينك وكتابك وعبادك الصالحين، واغفر

لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بقلم الفقير إلى عفو مولاه

صالح بن عطا الله الخزيم

الأحد ١٤٠٩/١١/١٥هـ